حولية كلية أصول الدين بالقاهرة

العدد السابع عشر
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
المجلد الثاني

حولية
كلية أصول الدين
بالقاهرة

العدد السابع عشر

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المجلد الثاني

أبو هريرة الدوسي

وأسباب تفوقه في حديث النبي ﷺ

بقلم

دكتور

عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدرس الحديث وعلومه

بكلية أصول الدين بالقاهرة

أولا : التعريف بأبي هريرة رضى الله عنه :

هو الامام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوس اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات اختلف فى اسمه على أقوال جمة أرجحها عبد الرحمن بن صخر .

سماه رسول الله ﷺ عبد الله و كناه أبا هريرة .

والمشهور عنه أنه كنى بهرة برية ، قال : وجدتها فأخذتها فى كمي فكنيت بذلك وأمه رضى الله عنها : هى ميمونة بنت صبيح .

حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مبارك كافيه لم يلحق فى كثرته .

وعن أبي بكر ، وعمر ، وأسامه ، وأبيّ وعائشة ، والفضل وبصرة ابن أبي بصره وكعب الحبر .

وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ، فقيل بلغ عدد أصحابه ثمان مائه ا . هـ[1] بتصرف

وهناك سؤال يطرح هو أنه لماذا أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أحفظ الناس والعلماء للسنة النبوية المطهرة ؟

والجواب على هذا السؤال يحتوى على عدة أسباب :

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٥٧٨

السبب الأول :

قدر الله تعالى وفضله على أبي هريرة وليس لأبي هريرة في ذلك دخل ولا جهد ، ولا حيلة ، ولا سبب سلكه ، ليصل إلى تلك المرتبه العظيمة إنما أكرمه الله سبحانه بدعوة عظيمة من سيد العالمين ﷺ ، جعلته رضى الله عنه أحفظ الناس لحديث رسول الله ﷺ ، إلا ما كان من كتابة عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

وقد صرح هو نفسه رضى الله عنه بذلك : فقد قال همام بن منبه : سمعت أبا هريرة يقول : « ما من أصحاب النبي ﷺ ، أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب »[1] !

واستثناؤه لعبد الله بن عمرو الراجح أنه لايدل على أن عبد الله ابن عمرو كان أكثر حفظاً منه رضى الله عنهما ، إنما لبيان أنه لم يكن ثم كتابة من أبي هريرة للحديث الشريف ، لكنه فاق غيره بحفظ الصدر وضبطه القوى ! ، فالاستثناء إذا منقطع .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2] : ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأن ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبي ﷺ ، منه إلا عبد الله بن عمرو ، مع أن الموجود المروى عن عبد الله بن عمرو أقل من الموجود المروى عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة !!

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢١٣/١ فى العلم ، باب كتابه العلم ح ١١٣ .

(٢) فتح البارى ٣١٣/١

فإن قلنا الاستثناء منقطع فلا إشكال ؛ إذا التقدير : لكن الذى كان من عبد الله وهو الكتابه لم يكن مني ، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا ! . ه

وهنا يرد إشكال : وهو أنه كيف يزكى أبو هريرة رضى الله عنه نفسه فى درجة التفوق فى الحفظ على عامة الصحب الكرام رضى الله عنهم أجمعين وقد قال الله عز وجل « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »[1] .

والجواب من عدة وجوة :

أولا : أنه من باب التحديث بالنعمة وقد قال الله عز وجل « وأما بنعمة ربك فحدث »[2] .

ثانياً : عند الأمن من العجب والرياء جاز له اظهار النعمة للنفع العام لنفسه وللمسلمين وهو من باب قول نبي الله يوسف عليه السلام « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم »[3] .

ثالثاً : فراراً من كتمان العلم حيث أنه مُلىء علماً فكان لابد من الدلالة عليه ليعرفه صاحب الحاجة فيرحل إليه لينهل منه .

فبادىء ذى بدء كان قدر الله تعالى كله خيراً لأبي هريرة والقدر أصلا كله خير فقد كتبه الله تعالى سعيداً بتقديره له تلك السيرة الحميدة التى صحب فيها النبي ﷺ ، وسعد بدعوته الكريمة له فنال بها تلك المرتبة العظيمة من الحفظ والعلم النافع ؛ وكيف لا ؟!

---

(١) سورة النجم آية «٣٢» .

(٢) سورة الضحى آية «١١» .

(٣) سورة يوسف آية «٥٥» .

فلقد أمن النبي ﷺ على دعائه ولقد شرب اللبن من يد النبي ﷺ الشريفه فما زال يقول له النبي ﷺ « اشرب » حتى قال : والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً »[1] .

السبب الثانى :

نشأه أبى هريرة وبيئته

لقد نشأ أبو هريرة فى قبيلة قليلة الخير بل معدومة الخير !! فنشأ مشتاقاً للخير فلما رآه ألقى نفسه فى محيطه ونهل من منبعه الصافى .

قال الحافظ ابن كثير : قال أبو داود الطيالسى وغير واحد عن أبى خلدة خالد بن دينار عن أبى العالية عن أبى هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله ﷺ : ممن أنت » ؟ فقلت : من دوس ، فوضع يده على جبهته وقال : « ما كنت أرى أن فى دوس رجلا فيه خير »[2] !!

لكن إسلام أبى هريرة رضى الله عنه كان فاتحة خير له ثم لقبيلته ، حيث أنه لما أسلم دعا النبى ﷺ لقبيلته لما علم أن فيها خيراً مثل أبى هريرة وما كان رسول الله يظن أن فى دوس خيراً كما أخبر عنهم ﷺ !!

ولذلك فإن الطفيل بن عمرو الدوسى أخبر النبى ﷺ أنهم عصوا وهلكوا ، وسأله أن يدعو عليهم فدعا ﷺ لهم رحمة منه وشفقه

---

(١) أخرى البخارى فى صحيحه ٧٢/٢٤ فى الرقاق باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ح ٦٤٥٢

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ١٠٧/٨

فأصابت الدعوة أبا هريرة فأسلم فكان أيضاً قدراً طيباً وحظاً سعيداً لأبى هريرة لم يكن له فيه كسب بل بمحض فضل الله تعالى عليه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء الطفيل بن عمرو إلى النبى ﷺ فقال : إن دوساً قد هلكت !؟ عصت ، وأبت فادع الله عليهم فقال : « اللهم أهد دوساً وائت بهم »[1] فهى أقدار وأفضال من الكبير المتعال على أبى هريرة الصحابى البار ، بأن جعله الله تعالى فى تلك البيئة الخاليه من الخير فأصابته دعوة النبى ﷺ قبل أن يراه فاختصه الله تعالى دون بقيه القبيلة فجاء منقاداً مسلماً فى سفر طويل شاق تحمله بصدر رحب منشرح بل مسرور لأن الله تعالى أبد له عما كان فيه نجاة الدارين وسعادة الدنيا والآخرة .

فلذلك قال عن نفسه : لما قدمت على النبى ﷺ قلت فى الطريق :

يا ليلة من طولها وعنائها ... على أنها من دارة الكفر نجت

وأبق غلام لى فى الطريق ، فلما قدمت على النبى ﷺ فبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لى النبى ﷺ : « يا أبا هريرة هذا غلامك » فقلت : هو لوجه الله فأعتقته »[2] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : فى قصه ذكرها هشام بن الكلبى : وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه — أى

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤٣٧/٨ فى المناقب باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى ح ٣٤٩٢ ط الفكر .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤٣٧/٨ ، ٤٣٨ فى المناقب باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى ح ٣٤٩٣ ط الفكر .

الطفيل بن عمرو — وأجابه أبو هريرة وحدة قلت : وهذا يدل على تقدم إسلامه وقوله « اللهم أهد دوساً وائت بهم » وقع مصداق ذلك اهـ

ومرتبة أبي هريرة هذه لا تقتضي تفضيله على الشيخين وغيرهم ممن سبقوه بالإسلام والفضل بلاخلاف بين أهل العلم ، فأفضل الناس بعد الأنبياء الشيخان ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وهـذا نص حديث رسول الله ﷺ من طريق نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم »[1] .

إذاً فتقدم أبي هريرة رضى الله عنه فى حفظ السنة المطهرة لا يعنى تقدمه المطلق ، إنما هو فضل من الله تعالى عليه بقوة الحفظ وثباته ليحفظ الله تعالى به الحديث الشريف كما حفظ سبحانه القرآن الكريم ، فتقدمه فى الحديث كان على الكل ، لكن المنزلة العامة فاقه فيها غيره ممن ذكر فى الحديث آنفاً وغيرهم ، !! فلعلهم فاقوه بما هو أقوى من مجرد العلم بالحديث ، !! حيث أن الشرع الحنيف غنى بالخيرات والأعمال الصالحات التى يرفع الله تعالى بها الدرجات .

السبب الثالث :

الدعاء :

وأى دعاء ؟ ! فلقد أمن النبى ﷺ فقط على دعاء أبي هريرة فأصبح من أعلم العلماء ، !!

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤ / ١٥١ فى المناقب باب فضل أبي بكر بعد النبى ﷺ ح ٣٦٥٥ ط المتحدة .

وكما هو معروف أن المؤمن على الدعاء يشبه الداعى تماماً .

والدليل على ذلك قول الله تعالى فى سورة يونس عليه السلام « وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد عـلى قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون »[1] .

فواضح من الآية الكريمة أن نبى الله موسى دعا وحده وأن نبى الله هارون أمن على دعائه . قال أبو العاليه[2] وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس : دعا موسى وأمن هارون أى قد أجيبت دعوتكما فيما سألتما من تدمير آل فرعون .

قال ابن كثير : وقد يحتج بهذه الآية من يقول : إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لأن موسى دعا وهارون أمن اهـ فلذلك كان تأمين النبى ﷺ على دعاء أبي هريرة بمثابة الدعاء له تماماً وقد حدث هذا بالفعل .

فعن زيد بن ثابت قال : بينا أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ، ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا ، قال فجلس وسكتنا ، فقال : « عودوا للذى كنتم فيه » قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبي هريرة ، فجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا ، قال : ثم دعا أبو هريرة فقال : « اللهم إنى أسألك مثـل الذى

(١) سورة يونس ٨٩

(٢) تفسير الحافظ إسماعيل بن كثير لسورة يونس ٢/٤٢٩

سألك صاحباى هذان ، وأسألك علماً لا ينسى ، فقال رسول الله ﷺ : « آمين » فقلنا : يارسول الله ، ونحن نسألك علماً لا ينسى ، فقال : سبقكما بها الدوسى »[1] :

فبين نبينا ﷺ أن ما أكرم به أبو هريرة من الحرص على الحديث وقوة الحفظ له إنما هو سبق خصه الله تعالى به الذى قال « الذى خلق فسوف . والذى قدر فهدى »[2] فهى قدر الله تعالى لأبى هريرة رضى الله عنه حيث ألهمه الله تعالى تلك الدعوة الطيبة التى أمن عليها النبى ﷺ ففاز بما فاز به من العلم العظيم دون صاحبيه وغيرهما !!

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٥٠٩ / ٥٨٢ فى معرفة الصحابة ، وقال صحيح ولم يوافقه الذهبى اهـ

قلت : وعدم موافقه الحافظ الذهبى كانت لضعف حماد بن شعيب الكوفى ، حيث قال عنه فى السير ٢/٦٠٠ أخرجه الحاكم فى مستدركه ، لكن حماد ضعيف اهـ قلت : لكن هناك متابعة عند الطبرانى فى معجمه الأوسط ٢/٥٤ ح ١٢٢٨ من طريق الفضل بن العلاء الذى تابع حماد ابن شعيب هذا عن إسماعيل بن أميه عن محمد بن قيس عن أبيه .... به .

والفضل هذا من رجال صحيح البخارى فقد أخرج له البخارى حديثاً فى كتاب التوحيد ح ١٥ ص ٢٩٤ ح ٧٣٧٢ باب ماجاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى فقال : حدثنى عبد الله بن أبى الأسود حدثنا الفضل بن العلاء حدثنا إسماعيل بن أميه عن يحى بن عبد الله بن صيفى ... الحديث .

فهذه متابعه يرتقى بها الحديث إلى الحسن لغيره . والله أعلم والحمد لله .

(٢) سورة الأعلى آية ٢ ، ٣

وهذا كما حدث لعكاشة بن محصن الأسدى سأل النبى ﷺ أن يدعو له أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال له ﷺ : « أنت منهم » !! فلما سألها غيره قال : « سبقك بها عكاشة »[1] .

السبب الرابع :

الطاعة التامة مع تمام الانقياد للنبى عليه الصلاة السلام :

فقد كانت سبباً عظيماً من أسباب وصول أبى هريرة لمرتبة أحفظ حفاظ السنة المطهرة .

إنما كان أبو هريرة يشترك فى تلك الميزة مع غيره من الصحب الكرام ، حيث أن الطاعة كانت سمة عامة للصحابة رضوان الله عليهم مع النبى ﷺ فى كل شؤنهم الخاصة والعامة .

لكن قد يكون هناك بعض التفاوت الخفيف الخفى فى الطاعة ، بمعنى : أنه قد يطيع البعض النبى ﷺ فى الأوامر والنواهى طاعة تامة ، لكن قد يسبقها شىء طفيف لا أقول من الاعتراض — معاذ الله — ولا التوانى ولا التكاسل ولا شىء من تلك اللحظات التى قد تسبق تنفيذ الأوامر أحياناً .

إنما كان بعض الاستفسار والسؤال يحدث أحياناً من بعض الصحب الكرام .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه

مثال ذلك :

ما حدث يوم الحديبية عندما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بعد معاهدة الصلح أن ينحروا إبلهم ، ويحلقوا رؤسهم ، ويحلوا فقاموا مستفسرين مدهوشين ، لا معترضين ، ولا عاصين ، ولا رادين لأمر رسول رب العالمين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

إنما الحال حتم عليهم ذلك حيث قد نزلت سورة الفتح ، ثم إنهم قد خرجوا قاصدين ذلك الأمل العظيم ، فلما رأوا أنهم ليسوا بداخلين فى هذه الرحلة وهذا العام ، ما كان منهم إلا أنهم أفصحوا عما فى صدورهم بسؤال الاستفسار المحفوف بالأدب الجم للنبى ﷺ !!

فكان أول السائلين عمر بن الخطاب :

ففى حديث عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان عن عمر ابن الخطاب قال فأتيت النبى ﷺ فقلت : ألست نبى الله حقاً !! ؟ قال : « بلى » قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ ! قال : « بلى » ، قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا ؟ !! قال: « إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى » قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ ! ، قال : « بلى » فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ ! قال : قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به ... الحديث »[1] .

فالصحابة كانوا وقتها فى أمر عظيم جعلهم يسألون ويستفسرون مع دهشة من هذا الأمر العظيم .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١ / ١٧٧ فى الشروط باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ... ح ٢٧٣١ ، ح ٢٧٣٢

قال ابن إسحاق : كان الصحابة لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون[1] اهـ .

نعم إنها هلكة السؤال الشبيه بالاعتراض لولا أن الله سلم !!

لكن لا يفوتنى أن أبين أن هناك رجالا من الصحب الكرام كانوا عن السؤال بمنأى وعن التردد ببعد رضى الله عنهم أجمعين .

فعلى رأس هؤلاء الصديق أبو بكر صاحب الغار رضى الله عنه كما هى عادته التقدم فى كل خير والفوز فى كل سباق !!

ففى الحديث السابق بعد أن تكلم عمر مع النبى ﷺ وأجابه النبى ﷺ بما أجابه به فبعدها سأل أبا بكر !!

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقاً !! ؟ قال : بلى ؛ قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل !! ؟ قال : بلى ؛ قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟!

قال : أيها الرجل : إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق !! قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟! ، قال : بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟!! ، قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ، ومطوف به . !! قال الزهرى : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا ... اهـ[2] .

---

(١) فتح البارى ١١/١٧٧

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١/١٧٨ فى الشروط ، باب الشروط فى الجهاد والمصالحة ...

فهذا أبو بكر رضى الله عنه ما كان عنده أدنى همسة من تردد أو اعتراض أو حتى سؤال أو استفسار ؛

فأعلى الله تعالى مرتبته وفكره وعقله وقلبه حتى ألهمه سبحانه بإجابة وافقت إجابة النبى ﷺ على مسائل عمر رضى الله عنه .

فكذلك كان أبو هريرة رضى الله عنه !!

فلقد صحب النبى ﷺ تلك الأعوام القليلة صحبه العبد لمولاه ، صحبه المملوك المطيع للسيد العليم الحليم .

فكلما أمره بأمر امتثل أمره وكلما نهاه عن شىء امتثل نهيه ، ليس بلا اعتراض فقط بل وبلا لحظة يظهر فيها أدنى تردد أو توانى ، !!

ففاز بنفحة عطرة مليئة بالخير هبت فجأة من بستان المصطفى ﷺ فوافقت استسلام أبى هريرة التام ففاز بالحفظ العام لأحاديث وسنن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . !

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت : يارسول الله ، إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه ، ! قال : ابسط رداءك » ، فبسطته ، قال : فغرف بيديه ، ثم قال : « ضمه » فضممته ، فما نسيت شيئاً بعده »(١) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : « فغرف » : لم يذكر المغروف منه وكأنها كانت إشارة محضة . اهـ (٢) .

فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه قبل هذا الحديث كثير النسيان

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/٣٢٤ ح١١٩ فى العلم، باب حفظ العلم

(٢) فتح البارى ١/٣٢٤

باعترافه ثم تخلف عنه النسيان ببركة النبى عليه الصلاة والسلام ، حيث صادفت الدعوة طاعة تامه من أبى هريرة فعند ماشكا للنبى ﷺ النسيان قال له : « ابسط رداءك » !!

فلم يقل لم ؟! ولا كيف ؟! ولا لماذا ؟ ولا ... ولا ما علاقة بسط الرداء بالنسيان والحفظ بل ولا استفهام ولا تردد !!

لعلمه بأن النبى ﷺ كثيراً ما كان يتخطى الأسباب والمسببات التى ألفتها العقول العاديات إلى قصور المعجزات وعلامات النبوات الواضحات والدلائل البينات على صدق سيد البريات محمد عليه من الله أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، ولتشرق شمس الإيمان فى قلوب أصحابه الزكيات !!

قال الحافظ عن حديثى الحفظ : وفى هذين الحديثين فضيلة ظاهرة لأبى هريرة ، ومعجزة واضحة من علامات النبوة ، لأن النسيان من لوازم الإنسان ، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه ثم تخلف عنه ببركة النبى ﷺ اهـ (١) .

وهذا رد على من يسأل مستنكراً : لماذا أبو هريرة الذى أسلم متأخراً سنة سبع من الهجرة كان أكثر حديثاً ممن سبقوه وممن لحقوه ؟!

فالجواب يكون فى الحديث السابق وغيره ، حيث أنه رضى الله عنه بسط رداءه ، وصبر وصابر وربط ورابط على باب النبى ﷺ ، وخرج من دائرة « لماذا » و« لم » بل عن أى اعتراض خرج من ذلك كله إلى الفضل والحظ الطيب والقدر السعيد .

فلقد غرف له النبى ﷺ نفسه وبيديه الشريفتين !! غرف له ماذا ؟ ومن ماذا ؟ وما أدراك بغرفة النبى ﷺ باليدين الشريفتين ؟

(١) فتح البارى ١/٣٢٥

إن المفعول للفعل عرف مبهم محذوف غير مذكور !!

وليست العظمة لمجرد ابهام المفعول فقط إنما زادت العظمة زيادة بلغت منتهاها للفاعل !.

فلقد كان الغارف هو سيد العالمين ﷺ ، والمغرفه لا تداينها مغرفه .

لقد وافقت محلا مستسلماً للأمر نال بها أبو هريرة مرتبه سيد الحفاظ لحديث رسول ﷺ ، فأصبح صدره وعاء للعلم بعد أن ضم الرداء بالفضل لا بالعقل ، وبالقدر لا بالسبب .

وهذا لن يتكرر بعد نبينا ﷺ ، لأنه أصبح ضمن المعجزات النبويه الشريفه .

قال الحافظ عن هذا الغرف : لم يذكر المغروف منه و كأنها كانت إشارة محضة ا هـ وقد تقدم .

وفيه إشارة إلى أن العلم ومراتبه العاليه بذرته فضل وإحسان من الله الرحمن تغرس فى قلب من أراد الله تعالى له أن يجعله إماماً فى هذا الشأن العظيم ، ويلهمه مع ذلك الهمة العالية والفكرة الصافية ، والسيرة الراقية ، والذاكرة الواعيه ، وحب سنة النبى ﷺ ، بدرجة عالية ويصحبه مع ذلك نية خالية من الهوى وحظوظ النفس الدانية ، فإذا أراد الله تعالى أن يتم عليه حصاد الثمرة الغالية ثبته على ذلك طيلة حياته حتى يستيقظ عند الممات فيجد نفسه أصبحت « فى عيشة راضيه . قطوفها دانيه » فيسمع حادى الأرواح الآتيه يحدوبها قائلاً « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .

فاللهم اجعل نصيباً من ذلك يارب الأرض والسموات العالية .

فتسليم أبى هريرة لأمر النبى ﷺ وطاعته التامة له كانت من أعظم أسباب هذا الخير العظيم الذى نال به هذا الذهن السيال .

وقد عالج النبى ﷺ ، قضية النسيان بأسلوب الدعاء مع نفحة من الإعجاز صادفت استسلاماً ورضا وطاعة من أبى هريرة فحصل هذا الخير الذى تفضل الله تعالى به عليه من غير سابق عمل منه .

فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً هيأه له .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : من سبقت له السعادة دل الدليل قبل الطلب ، إذا أراد القدر شخصاً بذر فى أرض قلبة بذر التوفيق ، ثم سقاه بماء الرغبه والرهبة ، ثم أقام عليه بأطوار المراقبة ، واستخدم له حارس العلم ، فإذا الزرع قائم على سوقه ، إذا طلع نجم الهمة فى ظلام ليل البطالة وردفه قمر العزيمة ، أشرقت أرض القلب بنور بها ا . هـ(١) .

السبب الخامس : التفرغ لطلب العلم .

وهذه منقبة من مناقب أبى هريرة رضى الله عنه حيث أنه واصل الطلب بهمة عاليه فى بداية أمره بالرغم من الفقر الشديد ، لكن رضى بذلك ايثاراً لطلب العلم والتفرغ له مبتغياً بذلك رضا الله والدار الأخرة ولو أراد الدنيا لسعى لها سعيها لكنه فوض إلى ربه ورضى بما يختاره له ففاز بالمطلوب .

قال ابن القيم : عن العبد أنه : إذا فوض إلى ربه ورضى بما يختاره له

(١) الفوائد لابن القيم ص ٥١ .

أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه ، وأراه من حسن اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه[1] ا . هـ والتفرغ للعلم يقتضي صبراً جميلا حيث أنه لابد أن يصحب ذلك قطع العلائق مع الرضا باليسير من العيش والتقلل من حظوظ الدنيا .

وقد بلغ أبو هريرة في ذلك مبلغاً عظيماً يحكى به !!

قال البخاري في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد عن أيوب عن محمد قال : كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان[2] ، من كتان ، فتمخط فقال : بخ ، بخ ، أبو هريرة يتمخط في الكتان ؟!! ، لقد رأيتني ، وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ ، إلى حجرة عائشة مغشياً على ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ، ويرى أني مجنون ، وما بي جنون ، ما بي إلا الجوع !! »[3] .

كل هذا من أجل أن يفرغ نفسه وعقله وقلبه للعلم صبر هذا الصبر الذي يكاد ينعدم عند غيره من طلاب العلم فبذلك أوتي ما أوتي !!

قال المهلب عن أبي هريرة : أنه لما صبر على الشدة التي أشار إليها من أجل ملازمة النبي ﷺ في طلب العلم جوزي بما انفرد به من كثرة محفوظه ومنقوله من الأحكام وغيرها ، وذلك ببركة صبره على المدينة[4] ا . هـ

(١) الفوائد لابن القيم ص١٣٧

(٢) أي مصبوغان بالطين الأحمر .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨/٧٠ ، ٧١ في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما ذكر النبي ﷺ ، وحض على اتفاق أهل العلم .

(٤) فتح الباري ٢٨ / ٨٠

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : كان يظنه من يراه مصروعاً ، فيجلس فوقه ليرقيه أو نحو ذلك[1] ا . هـ

وكل ذلك من الجوع والفقر والغشي والاغماء والألم الذي تعرض له أبو هريرة كان في عهد النبي ﷺ ، وعلى مرأى ومسمع منه ﷺ !! وهذا واضح لايخفى ، ومع ذلك لم نسمع عن أدنى إنكار منه ﷺ ، على أبي هريرة !!

ورسول الله ﷺ ، لايسكت على خطأ فضلا عن أن يكون باطلا أبداً أبداً . لقد علم رسول الله ﷺ أن أبا هريرة حبس نفسه على طلب العلم منه ﷺ ، وسماع الحديث الشريف ، وهذا يحتاج لتفرغ تام حتى ينال من المرتبة المرجوة ليكون عموداً من أعمدة السنة المطهرة .

كما لايخفى أن أي لحظة كان سيبتعد فيها عن رسول الله ﷺ ، كان سيفوته علم كثير ، وكل لحظة يقترب منه ﷺ ، سينال بها أعظم الأجر والعلم والخير والنفع .

فهذا الذي صبره ، وهذا والله أعلم الذي جعل رسول الله ﷺ ، لم يأمره بالانصراف إلى الضرب في الأرض كغيره ، بل اعتبر اعتكافه على صحبه النبي ﷺ ، وملازمته سعياً وضرباً في الأرض حيث أن الأمة كلها تحتاج إلى ما هو عاكف عليه ، فهو إذاً كان يعمل لصالح العالم كله وأيضاً لصالح نفسه وسعياً لرزقه .

لذلك كان النبي ﷺ ، يحثه على ملازمة ما كان فيه ويعلله بل ويطعمه

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٥٩٠

ويسقيه ، فعنه رضى الله عنه أنه قال : إن الناس يقولون : أكثر هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات » — إلى قوله — « الرحيم »[1] .

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ويحضر مالا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون »[2] .

هذا الذى جعل البون شاسعاً والفارق بعيداً بين أبى هريرة وغيره من أهل الخير فى زمانه بل وبعد زمانه ، فهم رضى الله عنهم لم يصبروا صبره على ملازمة رسول الله ﷺ ولم يجوعوا جوعه فبالتالى لم يلزموا ملازمته ولم يحفظوا حفظه ولم يعلموا علمه .

لذلك لما أنكر بعضهم هذا العلم الغزير الذى تعلمه أبو هريرة ولم يكن عندهم منه وسألوا عن ذلك أجابهم بأهم الأسباب وهى الملازمة للمصطفى ﷺ ، مع الصبر عن الدنيا ، وعن المال وعلى الفقر والجوع حتى أطعمه النبى ﷺ وعلمه .

---

(١) الآية « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ● إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » سورة البقرة آية ١٥٩ ، ١٦٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٢٣/١ ، ٣٢٤ فى العلم ، باب حفظ العلم ، ج ١١٨

لقد أعقبه الصبر الطول لذة عظيمة ، وهذه سنة الله تعالى فى خلقه !!

قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »[1] .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا .

وقال السدى : « لنهدينهم سبلنا » أى طريق الجنة .

قال القرطبى : « وإن الله لمع المحسنين » : وهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية اهـ[2] .

فلما صبر أبو هريرة وجاهد فى الله تعالى نال ما نال من حسن العواقب وعلو المراتب ، فقد شرب الصبر فى أول الأمر فأكل التمر عند إفطاره بعد إمتثال الأمر .

قال القائل :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

وقال ابن القيم : لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه فى الابتداء لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ، ولذات وأفراح ، وإن كرهته نفسه فهو خير لها ، وأنفع ، وكذلك لا شىء أضر عليه من ارتكاب النهى وإن هويته نفسه ومالت إليه .

ثم قال : فنظر الجاهل لا يجاوز المبادىء إلى غاياتها ، والعاقل الكيس

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٤٢/١٣/٧

إنما ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهى كطعام لذيذ، قد خلط فيه سم قاتل، فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم.

ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه من تناوله أمره نفعه بالتناول.

ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك؛ وإذا قوى يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها فى طلب الخير الدائم واللذة الدائمة اهـ[1].

وهناك سؤال يطرح:

لماذا اختص أبو هريرة بذلك دون أصحاب النبى ﷺ خاصة من سبقوه؟

والجواب: أن الله عز وجل له سنن فى خلقه:

ومن السنن التى ظهرت واضحة جلية فى الكتاب والسنة ثم السيرة والتواريخ يتفضل على من شاء من خلقه بما شاء، وليس فى تفضله سبحانه على أحد من خلقه بشىء دلالة على ارتفاعه على غيره وفضله عليه فضلا عاماً يدل على أنه أفضل عند الله منه وأعلى درجة عليه فى الدنيا والآخرة، كلا، إلا الأنبياء حيث أنهم فضلوا من كل جهة على عامة الناس ثم فضل بعضهم على بعض ثم فضل عليهم نبينا

(١) الفوائد ص ١٣٦، ١٣٧

ﷺ حيث قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»[1].

والصحابة أيضاً بعضهم فضل على بعض بنص حديث فى زمن النبى ﷺ صحيح يأخذ حكم المرفوع وهو موقوف عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر، ثم عثمان رضى الله عنهم[2].

وذلك كان فى زمانه ﷺ ولا ينكره فسكوته إقرار له.

ثم بعد ذلك لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

قال الله عز وجل: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[3].

فلا يستطيع أحد أن يقول فلان أفضل من فلان على الاطلاق، اللهم إلا فى فضيلة قد تفضل الله تعالى بها عليه دون غيره ظهرت فيه.

كذلك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لا نستطيع أن نفضل أحداً على أحد دون من ذكروا فى الحديث الشريف إلا أن يكون هناك نص خص بعضهم دون بعض بشىء كأن يقال أبو بكر أحلمهم وعمر أشدهم وعلى أقضاهم وأبى أقرأهم وهكذا.

(١) أبو داود فى سننه ٤٢٦/١٣ فى السنة، باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم السلام ج ٤٦٤٥
وأخرجه ابن ماجه فى الزهد، باب ذكر الشفاعة ١٤٤٠/١ ح ٤٣٠٧
وأخرجه أحمد فى المسند ٥/١
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٥١/١٤ فى المناقب باب فضل أبى بكر بعد النبى ﷺ ج ٣٦٥٥
(٣) سورة الحجرات آية ١٣

وقد وجد ذلك بتصريح منه ﷺ حيث قال فى الحديث الصحيح أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، إلا أن لكل أمة أميناً ، وإن أمين هذه الأمة : أبو عبيدة بن الجراح »[1] .

فكل منهم تفضل الله تعالى عليه بشىء دون غيره و « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[2] .

وقال الله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون »[3] .

فمن اختاره الله تعالى لشىء هيأه له كما هيأ سبحانه أبا بكر للصحبة ، وعمر لإظهار الحق ، ومعاذاً لحبايا علم الحلال والحرام ، وأبا عبيدة لزيادة الأمانة .

وإن كان كل من الصحابة له نصيب من هذه الخيرات المذكورات ، لكن المذكورون هم الذين تفوقوا فيما اختصوا به بعد أن هيأهم الله تعالى لذلك .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٤٢٢ / ٤٧٨ ، ح ٥٧٨٤ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى . وأخرجه أحمد فى المسند ٣/٢٨١

(٢) سورة الجمعة آية ٤

(٣) سورة القصص آية ٦٨

فأما أبو هريرة رضى الله تعالى فكان من الذين اختارهم الله تعالى لهذا العلم العظيم ، ودعاهم واختار لهم أسبابه والهمهم حملها وتحملها .

وقد أخلص فى ذلك اخلاصاً عظيماً ظهر ذلك فى عمله واضحاً جلياً ، حيث أنه آثر الفقر والزهد ، والغض عن الدنيا لأجل الحديث ، والعلم فلم يشبع كغيره ، بل فى بداية الأمر لم ينشغل بزوجة ولا ولد مع أن ذلك كله مباح بل وقد يصل إلى الواجب إلا أنه آثر رضى الله عنه العكوف على ملازمة النبى ﷺ للحصول على أعلى درجات العلم بالحديث الشريف حتى أصبح المبرز فيه وصاحب لوائه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات — إلى قوله — « الرحيم »[1] — إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن اخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون »[2] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٩ ، ١٦٠ والآيتان « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/٣٢٣ ، ٣٢٤ فى العلم باب حفظ العلم ح ١١٨

فأسباب التفوق قد أفصح عنها بنفسه .

فلما سمع بعض التعجب من الناس لكثرة حديثه رضى الله عنه وقالوا: أكثر أبو هريرة !!

أى من التحديث عن النبى ﷺ بما لم يسمعوا قال غاضباً : أى أنه لولا آيتان فى كتاب الله المتوعدتان بالعقاب على كتمان العلم ما حدث حديثاً !!

ثم أخبر أنهم كانوا قسمين : قسم كان مشغولا بالصفق فى الأسواق أى للتجارة والبيع حيث يعبر عنها بالصفق باسكان الفاء الذى هو ضرب اليد على اليد وقد جرت به عادتهم عند عقد البيع .

وقسم ثان كان مشغولا بالزرع حيث كان المهاجرون أصحاب تجارة والأنصار كانوا أصحاب زرع .

قال الحافظ فى قوله : « كان يشغلهم العمل فى أموالهم » أى القيام على مصالح زرعهم ، ولمسلم : كان يشغلهم » ا. هـ[1].

ومع أن تلك الأعمال سعى محمود حث عليه الشرع الحنيف إلا أنه أخر صاحبه عن بلوغ مرتبة السبق فى طلب العلم ، لذلك قال بعض السلف : أعط العلم كلك يعطك بعضه .

فلقد أعطى أبو هريرة نفسه كلها للعلم حتى كان مسكيناً من المساكين لأجل العلم ، لا مال ، ولا أسواق ، ولا تجارة ، ولا زراعه ، ولا نجارة ولا حداده ، بل ملازمة كاملة لسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

(١) فتح البارى ١/٣٢٣

فعن ابن عمر رضى الله عنهما : أنه مر بأبى هريرة وهو يحدث عن النبى ﷺ : « من تبع جنازة فله قيراط ، فإذا شهد دفنها فله قيراطان أعظم من أحد » .

فقال ابن عمر : يا أبا هريرة : ما تحدث عن رسول الله ﷺ ؟!!

فقام إليه أبو هريرة ، حتى انطلقا إلى عائشة رضى الله عنها فقال لها — أبو هريرة — : يا أم المؤمنين : أنشدك الله : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، وإن شهد دفنها فله قيراطان ؟ فقالت : اللهم نعم ، فقاله أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ عرس ولا صفق بالسواق ، إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها ، أو أكلة يطعمنيها ؛ فقال ابن عمر : يا أبا هريرة : كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه »[1] :

بأبى أنت وأمى ونفسى يا رسول الله لما رأى من أبى هريرة الهمة العالية والتفرغ الكامل عليه وأطعمه وصبر نفسه معه لصبره مع نفسه .

يقول أبو هريرة : لقد رأيتنى أصرع بين القبر والمنبر من الجوع حتى يقولوا مجنون اه !![2] .

ومع ذلك لم يأمره رسول الله ﷺ بالانصراف إنما تركه يدور معه حيث دار ويجلس معه حيث يجلس ، ويمشى معه حيث يمشى فنهل من العلم مالم ينهل غيره .

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٥١٠/٥٨٤ ، ج ٦١٦٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٥٩٠

فعن طلحة بن عبيد الله أنه دخل عليه رجل فقال : يا أبا محمد : « والله ما تدرى هذا اليمانى أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم ؟!! تقول على رسول الله ﷺ مالم يقل - يعنى أبا هريرة - فقال طلحة والله ما يشك أنه سمع من رسول الله ﷺ مالم نسمع وعلم مالم نعلم ، إنا كنا قوماً اغنيا لنا بيوت وأهلون كنا نأتى نبى الله ﷺ طرفى النهار ، ثم نرجع ، وكان أبو هريرة رضى الله عنه مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد إنما كانت يده مع يد النبى ﷺ وكان يدور معه حيث مادار ، ولا يشك أنه قد علم مالم نعلم وسمع مالم نسمع ، ولم يتهمه أحد منا أنه تقول على رسول الله ﷺ مالم يقل »[1] .

وهذا شىء ملموس فى العلم الشرعى الحنيف : قال محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفه: لو كان الناس كلهم عبيدى لأعتقتهم وتبرأت من ولائهم وذلك لأن من وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس أ هـ[2] .

ومع هذا الجهد فلم ينس أبو هريرة حق الأم امتثالا لأمر الله تعالى بالبر والاحسان إلى الوالدين فقد قال أبو هريرة : والله ماخلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى الا أحبنى قلت : وماعلمك بذلك يا أباهريرة ؟

قال : إن أمى كانت مشركة ، وإنى كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى على فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ؛ فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى !! فقلت : يارسول الله : إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام وكانت تأبى علىّ وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ١١ ، ٥١٢/ ٥٨٥ ح ٦١٧٢ . قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبى على شرط مسلم .

(٢) تعليم المتعلم طريق التعلم

فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اهد أم أبى هريرة » ، فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشف رجل - يعنى وقعها - فقالت : يا أباهريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت يارسول الله أبشر : فقد استجاب الله دعاءك . وقد هدى أم أبى هريرة ، فقلت : يارسول الله . ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما ، فما خلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى أو يرى أمى إلا وهو يحبنى »[1] .

أيضاً مرتبه عالية لا أرى أنه نالها إلا بالصبر على ضيق العيش لعلمه بحب النبى ﷺ للتقلل وأصحاب التقلل من متاع الدنيا .

فهو ﷺ يقربهم ، ويدنيهم ، ويعلمهم ، وهم قد علموا حبه ﷺ لذلك فازدادوا منه ليزدادوا قرباً منه ﷺ وخيراً بحب مايحب .

وقد علموا حديثه أنه قال :

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة[2]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢/ ٣١٩ ، ٣٢٠ وقال الذهبى سنده حسن .

(٢) (٣٠٢ ، ٤) أخرجهم البخارى فى صحيحه ٦/٢٤ ، ٨٠٧ ح ٦٤١٤ ، ح ٦٥١٥ ح ٦٥١٦ فى الرقاق .

فازدادوا زهداً فى الدنيا وإقبالا على الآخرة، وعلموا من حديثه ﷺ أنه قال: «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة فى سبيل الله، أو روحة خير من الدنيا وما فيها»(١).

فازدادوا انكبابا على العلم والعمل به كأبى هريرة الذى ارتدى بما قاله النبى ﷺ لابن عمر رضى عنهما.

«كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل»(٢).

ونادى على بن أبى طالب رضى الله عنه على أصحابه قائلا: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب وغداً حساب ولاعمل (٣).

السبب السادس:

الهمة وطول اللازمة

وهذا سبب عظيم ضرورى لكل طالب علم وقد سنه أبو هريرة وكان أبرع الناس فيه، فما كان يفارق النبى ﷺ أبداً إلا إذا دخل على أهله، أو للحاجة التى لابد للإنسان منها.

فعن عائشة رضى عنها: أنها دعت أبا هريرة رضى الله عنه فقالت له: يا أبا هريرة:

ما هذه الأحاديث التى تبلغنا أنك تحدث بها من النبى ﷺ، ؟!

هل سمعت إلا ما سمعنا؟ وهل رأيت إلا مارأينا؟!

(١، ٢) المرجع السابق نفسه

(٣) المرجع السابق ١١

قال: يا أماه: إنه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرآه، والمكحلة والتصنع لرسول الله ﷺ، وإنى والله ما كان يشغلنى عنه شىء»(١) حقاً ما كان يشغله عنه شىء، وقد كان الصحب الكرام بالرغم من مراتبهم العالية، وحبهم الجم التام للنبى ﷺ إلا أنهم كانوا مضطرين للانشغال بضيعهم، وأعمالهم ومهنهم عن الملازمة الدائمة للنبى ﷺ، فهذا عمر نفسه يقول: وكان لى صاحب من الأنصار إذا غبت أتانى بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر»(٢).

وهؤلاء المهاجرون والأنصار كما أخبر أبوهريرة كان يشغلهم التجارة والزراعة وإصلاح الأموال.

أما أبو هريرة فلا شىء يشغله إلا ملازمة النبى ﷺ وكأن الله تعالى أراد أن يشغل الناس فى بداية الدعوة بالقرآن الكريم وحفظه وقراءته وتدبره، فلما فتحت الفتوحات وزادت علوم الشريعة وأحكامها وأحاديثها، وقد حفظ كل من الصحابة ماسمعه، وغاب عنه مالم يسمعه بسبب انشغاله بمصالحه قدر الله تعالى: أن يدخل رجل فى الإسلام ليس له شغل إلا الملازمة لمهبط الوحى ومنبع السنة فلزم أبوهريرة رسول الله ﷺ وهيأه الله تعالى لذلك:

فجعل ذاكرته وقادة وذهنه سيالا وهمته عالية وباله خالياً، وأعطاه الحافظة الواعيه والذاكرة القوية، فجمع علم من قبله حتى لايذهب فى

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٥٠٩/٥٨٢ ح ٦١٦٠ فى معرفة الصحابة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨/٣٠٠ فى التفسير - سورة التحريم ح ٤٩١٣.

الشتات ولا يضيع فى الرفات . فلم تكن هناك مطبعة طابعة ولا كتب الكثيرون ، إنما كانت صدور الرجال هى قطوهم كما قال القائل :

علمى معى حيث ما كنت يتبعنى
صدرى له وعاء لا بطن صندوق
إن كنت فى الدار كان العلم فيه معى
أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

حتى قيض الله تعالى لهذه الأمة صدر أبى هريرة ليحمل العلم عن أعلم العلماء ﷺ ما قاله عند أصحابه وما سيقوله بعد ذلك ، حتى قال النبى ﷺ نفسه عن أبى هريرة فيما رواه أبو سعيد مرفوعاً .

« أبو هريرة وعاء العلم »(١)

والوعاء للعلم يحتاج ملازمة لاصقة للعالم ، فقدر الله ذلك وهيأ الأحوال والأسباب حيث لو كانت لأبى هريرة كغيرة همة والتفات إلى الانشغال بشىء من المهن والضيع والمصالح لتركه النبى ﷺ كغيره يسعى لمصالحه .

وهذه رحمة ممن قال الله تعالى فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٢) فلم يجبر أحداً على شىء لا تطيقه نفسه إنما سلك وتأول قول الله تعالى : « إن سعيكم لشتى »(٣) .

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٥٨٢ ح ٦١٥٩ فى معرفة الصحابة وسكتا عنه .
(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧) .
(٣) سورة الليل آية (٤) .

وما قاله هو « وكل ميسر لما خلق له »(١) .

فألهمه الله تعالى ذلك الصبر العظيم حتى أصبح من قوة ملازمته للنبى ﷺ أنه يبحث عنه إذا غاب حتى لقد كان رضى الله عنه يتسور الجدران بل ويحتفز دونها ومن فتحاتها بحثاً عن رسول الله ﷺ إذا غاب عنه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر فى نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغى رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار ، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط ، والربيع الجدول — فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة ؟ ! قلت نعم يا رسول الله ، قال : « ماشأنك » ؟ قلت : كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائى . . . الحديث »(٢) .

فانظر إلى قوله : فكنت أول من فزع ، فهذه كانت همة أبى هريرة التى ألقاها الله تعالى فى قلبه حتى أكرمه الله تعالى بعلم غزير بلغ وعاءين .

فقد قال رضى الله عنه : حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٨ / ٣٢٠ ح ٧٥٥٢ باب قول الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » .
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١ / ٣٢٤ : ٢٣٦ فى الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

أحدهما أحدهما فبثثته . وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم »[1] .

نعم إنها الثمرة العظيمة للجد والهمة والصبر والملازمة بعد فضل الله تعالى : قال الإمام الزرنوجي تلميذ صاحب الهداية : ثم لابد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم ، وإليه الإشارة فى القرآن بقوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »[2] وقوله تعالى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة »[3] .

وقد قيل : من طلب شيئاً وجد وجد ، ومن قرع الباب ولج ولج .

وقيل : بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى .

أنشدنى الشيخ الإمام الأستاذ الشيرازى رحمه الله تعالى للإمام الشافعى رحمه الله تعالى .

الجد يدنى كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وحكمه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى
ضدان يفترقان أى تفرق

قال : وأنشدت لغيره :

تمنيت أن تمسى فقيهاً مناظراً بغير عناء والجنون فنون

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/٣٢٦ ح ١٢٠ فى العلم ، باب حفظ العلم .
(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٣) سورة مريم آية ١٢ .

وليس اكتساب المال دون مشقة
تحملها فالعلم كيف يكون

ثم قال : والرأس فى تحصيل الأشياء الجد والهمة العالية .

وقال : ولابد لطالب العلم من الهمة العالية فى العلم ، فإن المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه اهـ[1] .

السبب السابع :

الجرأة المحمودة على الطلب مع الأدب الجم :

والمقصود بالجرأة هى كثرة سؤال للنبى ﷺ عن العلم النافع والاستفسار والاستفهام فاتضح له كثير من الغوامض والمبهمات فأصبح محدثاً فقيهاً ، فعلم المطلق والمقيد والعام والخاص والمحكم والمتشابه ، والحلال ، والحرام والمباح ، والمكروه ، والمستحب وغيرهم ؛

وهذا الذى جعله يكثر ، فلم يكن يكثر الحديث من فراغ ، إنما كان غعلا أوعية مملوءة ، وما أفرغها كلها بل ضن بها ليس كتماناً للعلم ، إنما خوفاً ممن يؤذيه لجهله بما يقول فقد كانت عنده أحاديث بعض الفتن كأسماء الظلمة والطغاة وولاة الجور التى فيها تصريح بأسمائهم .

لذلك قال : حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم »[2] .

(١) تعليم المتعلم ص ٢٢ ، ٣٣ .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/٣٢٦ ح ١٢٠ فى العلم ، باب حفظ العلم .

وقال : حفظت من حديث رسول الله ﷺ أحاديث ماحدثتكم بها ولو حدثتكم بها لرجمتموني بالأحجار »[1] .

ولعله رضى الله عنه أخبر بها خاصة أصحابه دون النشر العام أو أنه أخبر بما فيه تلميح لا تصريح .

وما فعله رضى الله عنه ليس ببدع من القول فقد قال تعالى عن موسى عليه السلام لما أرسله إلى فرعون « قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى »[2] .

وهذه سنة الحق إذا نزل على أرض الباطل ثار الباطل فى وجه الحق ثم خشع وتصدع .

وكم لقى الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم نبينا ﷺ .

وقد قال نبينا ﷺ : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »[3]

فلما حمل أبو هريرة شيئاً من علم النبوة لقى شيئاً من سنن النبوة .

وقد أخبر النبى ﷺ بكل الحق وعمل بكل الحق .

فلقد فاز أبو هرير بقسط كبير من العلم النبوى الشريف كان من أهم أسبابه أنه كان جريئاً على السؤال للنبى ﷺ جرأة محفوفة بالأدب

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٥٠٩ / ٥٨٣ ح ٦١٦٢ وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) سورة طه آية ٤٥

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٣٤٣ / ٣٨٦ ومعرفة الصحابة ح ٥٤٦٣

الجم وقد كانت شخصية النبى ﷺ يعجز القلم واللسان والجنان عن وصفها حيث المهابة والجلال والكمال البشرى الذى أتقنه خالق كل شىء سبحانه وتعالى .

لذلك فقد أحجم كثير من الصحابة عن مواجهة النبى ﷺ والتحدث معه ومخاطبته ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى أنه كان يستحي حتى من النظر إلى رسول الله ﷺ بملء عينيه ، بل وصل ببعضهم الحال إلى أن استحيوا أن يسألوا عن أمر شرعى خالف فيه النبى ﷺ ما علمهم إياه وواظبوا عليه وعلموا أن الخطأ فى مخالفته ، فقد صلى رسول الله ﷺ الظهر أو العصر ركعتين ، ومع ذلك هاب الشيخان أن يسألاه ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : صلى النبى ﷺ إحدى صلاتى العشى — قال محمد بن سيرين — وأكثر ظنى أنها العصر — ركعتين ثم سلم ، ثم قام إلى خشبة فى مقدم المسجد ، فوضع يده عليها ، وفيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فهابا أن يكلماه ، وخرج سرعان الناس فقالوا : أقصرت الصلاة ؟ .

ورجل يدعوه النبى ﷺ ذا اليدين ، فقال : أنسيت ، أم : قصرت ؟ فقال : « لم أنس ، ولم تقصر » قال : بلى قد نسيت فصلى ركعتين ، ثم سلم ، ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه فكبر ، ثم وضع رأسه فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر »[1] .

فهذه المهابة التى كانت فى أبى بكر وعمر حالت كثيراً من الصحابة

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٦ / ١٢٠ فى الصلاة — سجود السهو ، باب يكبر فى سجدتى السهو ح ١٢٢٩ .

دون أن يسألوا النبي ﷺ عن كثير من الأشياء التي سأله عنها أبو هريرة لجرأته على السؤال وحرصه على سماع الحديث وحفظه .

فعنه رضي الله عنه أنه قال : يارسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث !! أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : « لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه »[1] .

فأخبره بصفة أسعد الناس لأنه كان أحرص الناس على ماينفع الناس رضي الله عنه وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رجل لابن عمر : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ !! فقال ابن عمر : أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيء به ولكنه اجترأ وجبنا »[2] أي اجترأ على سؤال النبي ﷺ والقرب منه والسماع منه وعن أبي بن كعب قال : كان أبو هريرة جريئاً على النبي ﷺ يسأله عن أشياء ولا نسأله عنها »[3] .

فالحديث قد فسر الجرأة بالسؤال ، فمجرد أن يستطيع أن يسأل النبي ﷺ يعتبر جريئاً لشدة المهابة منه والعظمة وعلو المقام له ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ٢٩٦ في العلم ، باب الحرص على الحديث ح ٩٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٥٨٣/٥١٠ ح ٦١٦٥ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٥٨٤/٥١١ ح ٦/٦٦ .

وأما خوفه من التحديث بكل ماسمع فلخوفه من سطو الحكام لما سيجدونه من ذميم الصفات الملصقة بهم في أحاديثه .

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم كقوله : « أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان » يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنه ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة اهـ[1] . رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

فإن قال قائل : هلا توكل أبو هريرة وحدث بلا خوف إلا من الله عز وجل ، ويبلغ مستسلماً لأقداره سبحانه ؟ .

والجواب : أن ذلك كان ممكناً حدوثه خاصة من مثل هؤلاء الصحب الكرام رضوان الله عليهم ، وقد كانوا أهلا لذلك لقوة إيمانهم وغزارة علمهم وعلو مرتبتهم :

لكن هذا العلم الذي علموه دلهم على رخص رخصها الله تعالى لهم حيث أخبر سبحانه عن بعض أنبيائه الكرام — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام — أنهم خافوا خوفاً جبلياً من بطش بعض الجبابرة والظالمين من الناس ولا يعتبر هذا خوف من غير الله تعالى ، حيث الخوف من الله تعالى خوف عبادة في السر والعلن .

وأما الخوف من المخلوق فهو خوف جبلي على النفس من البطش وأمامه فقط أما في غيابه فلا يخاف منه ولا يطاع إلا في طاعة الله عزوجل .

---

(١) فتح الباري ١/٣٢٦ .

قال الله عز وجل عن موسى وهارون عليهما السلام لما قال لهما « اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا . قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى »[1]

فلم يعبهما سبحانه إنما ألطف لهما فى القول وقال « لاتخافا . . . » الآية

وأما ما كتمه أبو هريرة فلا يدل على ضياع نصف السنة لأسباب .

أولا : لأنه قد يكون الوعاء الذى لم يبثه أقل من الوعاء الذى بثه .

ثانياً : إن أبا هريرة إن كان كتم عن الحكام خوفاً من بطشهم فقد يحدث به الخواص من أصحابه .

ثالثاً : إن ما كتمه أبو هريرة قد يكون عند غيره ممن سمع مثله من النبى ﷺ .

رابعاً : قد يكون حدث به غيره .

خامساً : قد يكون ما أخبر به أبو هريرة من كتم الوعاء الثانى مبالغة فى قلة التحديث منه لاعدمه بدليل أنه حدث ببعض الأحاديث التى فيها هذا الكلام متوكلا على ربنا الله الرحمن .

---

(١) سورة طه آية ٤٦ ، ٤٩ .

خاتمـــة

وختاماً : فلا تكفى تلك الورقات للكلام عن هذا الإمام الحبر الهمام ، فلو فتح الكلام وترك للقلم العنان لتحولت الوريقات إلى مئات الورقات بفضل ربنا الرحمن فلا يصح الكلام عن هذا الإمام حامل سنة النبى عليه الصلاة والسلام إلا بما يليق به من إعطائه حقه وبيان ما بينه وبينه أئمتنا من أنه حافظ للسنة لعامة الأمة وكل من حفظ الحديث بعده وسمعه فقد سبقت له عليه منة .

قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم : قد تحريت الابتداء من فضائل أبى هريرة رضى الله عنه لحفظه لحديث المصطفى ﷺ وشهادة الصحابة والتابعين له بذلك ، فإن كل من طلب الحديث من أول الإسلام إلى عصرنا هذا فإنهم من اتباعه وشيعته وأنه هو أولهم وأحقهم باسم الحفظ أه من المستدرك فى آخر مناقب أبى هريرة ٣/٥٨٧ وقال أبو بكر ابن خزيمة وإنما يتكلم فى أبى هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معانى الأخبار ، إما معطل جهمى يسمع أخباره التى يروونها خلاف مذهبهم الذى هو كفر فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه تمويها على الرعاء والسفل أن أخباره لاتثبت بها الحجة ، وإما خارجى يرى السيف على أمة محمد ﷺ ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام إذا سمع أخبار أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان كان مفزعة الوقيعة فى أبى هريرة . . . إلخ أه .

وصدق . فأبو هريرة رضى الله عنه إنما يوجه إليه أعداء السنة السهام

لأنه فارسها وقائد حرسها فإذا أصيب ضعفت السنة ووهنت شوكتها والعياذ بالله تعالى وقلت ثقة الناس بها وبالتالى توارت عامة أحكام شرعنا الحنيف .

لكن من رحمة ربنا تعالى أن وفق علماءنا لتدوين تلك الآثار الصحيحه الصريحه التى ظهر فيها كيف كان هذا الإمام أهلا لحمل سنة النبى عليه الصلاة والسلام بما منحه ربنا الرحمن تلك المنح العظام التى تعبت فى وصفها الأقلام والألسن ذات البيان بل وعقمت بعد ذلك الأرحام أن تحمل مثل هذا الإمام بل وعجزت المطابع ذات اختراعات الزمان أن تحفظ لنا السنة كما حفظها أبو هريرة ببركة دعاء النبى عليه الصلاة والسلام فاللهم الحقنا به فى الدارين عملا وجزاء حتى نكون مع سيد العالمين فى روضات الجنان .

وآخر دعوانا أن (الحمد لله رب العالمين)

وكتبه

د : عبد الله بن عبد الحميد بن منصور

السويس — سحر الخميس

١٥ رمضان المبارك ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩/١٢/٢٣ م

مسجد عباد الرحمن